كلمة التحرير

هيئة التحرير

تبدأُ مجلةُ إسلاميَّة المعرفة بهذا العَدَدِ سنتَها السادسة عشرة من عُمُرها المديد إنْ شاء الله. وقد يكونُ من المناسب، ونحن نَغُذُّ الخطى، أن نُلقِي نظرةً عل حصيلة الخبرة الغنيّة التي تمثّلت في إصدار ستين عدداً من المجلة، فنحمَدُ الله سبحانه أَن وفَّقنا إلى إصدار المجلة بصورة منتظمة، وأعانَنا على الالتزام بما ألزمْنا أنفسنَا به من تحقيق مستوى علمي "أكاديمي" راق؛ في المضمون الفكري، والأداء اللغوي، والإخراج الفنِّي. لكنَّ هذا المستوى من الرضا عن أدائنا السابق لا يَعْني غيابَ التطلّع إلى مزيد من النموّ نحو الأحسن. ذلك أنّ العملَ الفكري والعلمي تزدادُ قيمتُه مع تراكم الخبرة والتجربة، كما تزداد مسؤوليتُنا عن توظيفِهِ في ترشيد الجهود، وتعميق الأسس، وإعلاء البناء، وأنَّ حركةَ الأفكار التي تنطلق من مبادئ ثابتة وتتَّجهُ نحو مقاصدَ محدَّدة، تتضمَّنُ بالضرورة ألواناً من العطاء المتجدِّد والاجتهاد المتنوِّع، الذي تتسع له مسيرة الإصلاح الفكري وجهود النهوض الحضاري للأمة. وقد توّجنا هذا الجهد الدؤوب بالوصول إلى العالمية؛ إذ نزف للباحثين والأكاديميين نبأ حصول المجلة على صفة العالمية، مما يتيح لها تواصلاً أكبر مع الباحثين.

وهذه مناسبةٌ لتأكيد دعوتِنا إلى المفكرين والعلماء والباحثين أن يُعْطُوا لهذه المجلة نصيباً من إنجازاتهم فيما يخصُّ الرؤيةَ الكونية الحضارية ذات المرجعية القرآنية، وما تهدي إليه هذه الرؤية من معالجات معرفية ومنهجية لقضايا الفكر الإسلامي المعاصر.

وهي مناسبةٌ كذلك للتأكيد على أننا لم نقصد فيما ننشره في المجلة إنتاجَ "خطاب أحادي" تتطابق فيه الاجتهادات، وتتّحد فيه الألفاظ والمصطلحات، وتُختزل فيه الأمَّة إلى حزب أو مذهب، ولكنَّنا قصدنا بناءَ "خطاب توحيدي" تتعدَّد فيه الاجتهادات،

وتتنوَّع فيه مدارسُ الفكر، وتتَّسعُ فيه دوائر الخطاب لتشمل الأمَّةَ كلَّها. وما دام الخطاب التوحيدي ينطلق من مبادئَ ثابتةٍ، ويتوجَّهُ إلى مقاصدَ محدَّدةٍ، وتَحْدُوه قلوبٌ وعقول مفتوحة ونوايا خالصة، فلا ضير من أن يكون الطريقُ بين المبدأ والمقصد عريضاً، يتَّسِعُ للاجتهاد الذي يعتريه الصواب والخطأ، ويوظِّف التحليل النقدي لسعي الساعين إلى خير الأمَّة، ويستعين بالمراجعة والتقويم للخبرات والتجارب.

وحين استقرَّ الرأيُ على اختيار "إسلامية المعرفة" عنواناً لهذه المجلة، كان واضحاً أنَّنا بصدد مشروع للنهوض الحضاري، يكون بديلاً فكرياً ومعرفياً وثقافياً وحضارياً يمكن للإسلام أن يقدمه للناس في هذا العالم، المسلمين منهم وغير المسلمين. وكان هذا الاختيار تعزيزاً لما استقر عليه الرأي من قبل عند اختيار "إسلامية المعرفة" عنواناً لهذا المشروع، فأصبحت المجلة بذلك اللسان الناطق للمشروع. ونحن لا نريد أن نكون الوحيدين في حمل همِّ الأمة والسعي من أجل نهوضها الحضاري، ولا نريد أن ننفرد في إعطاء الاهتمام للبعد الفكري (بتمثلاته الثقافية والتعليمية)، ولذلك وجدنا عناوين ومصطلحات أخرى لمشاريع إصلاحية فكرية تقترب بدرجات متفاوتة من مشروع إسلامية المعرفة، كان منها مثلاً: التأصيل الإسلامي للعلوم، وتوجيه العلوم وجهةً إسلامية، وإعادة كتابة العلوم من منظور إسلامي، والنظام المعرفي الإسلامي، وإسلام المعرفة، وعلم العلوم، ونظرية المعرفة الإسلامية، وفلسفة العلوم بنظرة إسلامية...إلخ. ونظرنا إلى هذه التسميات بوصفها طرقاً مختلفة للتعبير عن قضية واحدة، وهي قضية الإصلاح الفكري والمعرفي في العالم الإسلامي، بوصفها قاعدة للنهوض الحضاري الإسلامي.

لقد أرْسَت المجلةُ عبر أعدادها الستين السابقة رؤيةً في الفكر ومنهجاً في البحث، ورسَّخت أعرافاً وممارسات في الكتابة والتنظيم والتحرير، لفَتَتْ نظرَ الكثير من الباحثين ومحرري المجلات العلمية "الأكاديمية" الأخرى. لكنَّ الذي يهمُّنا التنويه به

والتأكيد عليه هو تلك الصفات التي تُميِّزُ الباحثَ الذي يكتب وينشر في إطار مشروع إسلامية المعرفة ومجلة إسلامية المعرفة. هذا الباحث هو الذي يستوعب رؤيـــة العـــالَم الإسلامية، وما تمنحه تلك الرؤية من عمقِ فهمٍ وحسنِ تَمَثُّل لفروع المعرفة الإسلامية اللازمة لتخصصه العلمي، سواءً كان في مجالات العلوم الإســـلامية أو الاجتماعيـــة أم الطبيعية والتقانية، ويجمع إلى هذا الاستيعاب وعياً كافياً على متطلبات التكامل المعرفي، والقدرة على تشغيل هذا التكامل في بحوثه ودراساته في موضوعات تخصصه العلمي.

ويَخْرُج من هذا التحديد بالضرورة ثلاثةُ أنواع من الباحثين: الأول، مَنْ يمتلـــك معرفةً تخصصية في علم من علوم الشريعة، دون فِقْه التكامل بين هذه المعرفة المتخصصة والمعارف المتخصصة في علوم الشريعة الأخرى. والثاني، شبيه بالأول ولكنَّه لا يمتلـــك فقهَ الحياة وفقهَ الواقع الذي تتعلق به معرفته الشرعية. والثالث مـــن يمتلـــك معرفـــة تخصصية في علم من العلوم المعاصرة: الاجتماعية والإنسانية أو الطبيعية والتقانية، دون إلمام كاف بالمبادئ والمقاصد الإسلامية ذات العلاقة بتخصصه العلمي، أو قدرة تحليلية نقدية لإعمال الرؤية الإسلامية في معرفته التخصصية.

وإذا كانت مجلةُ إسلامية المعرفة قد لَفَتَتْ انتباه الباحثين "الأكـــاديميين" إلى رقـــيّ مستواها العلمي والمنهجي، فإنَّها لفتت أيضاً انتباه كثير مـــن المخلصـــين مـــن ذوي الاهتمام الفكري والثقافي العام الذين يقدِّرون قيمةَ المجلة الإسلامية "الملتزمة"، ولكنّهم انتقدوا الرصانة المعرفية والصرامة المنهجية للمجلَّة، ووصفوها بأنَّها خاصَّة بالنخبـــة، وليست في متناول المثقف العام. وقد يكون هذا الوصف صحيحاً؛ فخطابُ إســـلامية المعرفة، مشروعاً ومجلةً، هو خطابٌ موجَّهٌ إلى النخبة من العلماء والمفكرين والبـــاحثين ونخبة المثقفين من أبناء الأمة. وهو بهذه المواصفات خطابٌ مقصود، يسعى إلى الرقـــيِّ بالمسلم، المفكر والباحث والعالِم، حتى يكون أكثرَ رصانةً وصرامة علمية ومنهجية من غيره! لكنَّ ذلك لا يعني أنَّ مضمون الخطاب يفتقد التفاعل مع هموم الأمة وقضـــاياها

في واقعها المشهود، صوب أهداف النهوض الحضاري لهذه الأمة في مستقبلها المنشود! ونتذكر هنا صياغة شيخنا طه العلواني للمسألة: إذا كان خطابُ الإصلاح خطابَ نخبة، فإنّ إنجاز الإصلاح هو إنجاز أمة!

وسوف نجد على الدوام من يتساءل: ماذا حققت مجلة إسلامية المعرفة ومن ورائها رسالة إسلامية المعرفة ومشروعها الذي حملت اسمه؟ وفي الإجابة عن هذا التساؤل حسبنا في هذا المقام أن نردد ما سبق لشيخنا عبد الحميد أبو سليمان أن كتبه في هذه المجلة:

"إنّ إسلامية المعرفة ليست كتاباً يُكتب... ولا ندوة تعقد، ولا كلمة فصل تنطق، ولكنها مهمّة فكرية تبدأ وتبقى وتستمر، وتتعمق مع الاقتناع الكامل بمنطلقاتها، وإعمال الفكر ودوام عطائه وإبداعه وتجدده. ومع ذلك فإنَّ مسيرة إسلامية المعرفة لا تزال بحاجة إلى ترسيخ القناعة، وإرساء القواعد، وتنقية العوالق، ولا يزال أمامها الشيء الكثير...لأنَّ تفاقم الأزمات وتواليها، وفداحة الهجمة الفكرية والثقافية والتربوية الغربية على الأمة، وعلى مؤسساتها وشبابها، يدفع جُلّ القيادات الإصلاحية، وجُلّ المثقفين والمفكرين إلى متابعة قضايا الأزمات الآنية، ويعيق مهمة استقطاب جهودهم واهتماماتهم نحو القضية الفكرية الاستراتيجية."

"وإذا كانت الأزمة الكبرى، التي تعاني منها الأمة، أزمةً داخلية؛ كامنة في ذاتها وفي ضعف إرادتها، وتشتت طاقتها، فإنَّ الانشغال بالمعارك الجانبية ربما يكون استنزافاً للإمكانيات وهدراً للطاقات. فهل تستطيع الأمة أن تعيد بناء استراتيجية عملها، بحيث تعطي الأولوية لجهود الإصلاح الفكري والوجداني؟ وهل يمكنها أن توظف طاقتها في العمل الجاد لبناء المؤسسات وتنمية الكوادر المؤهلة للعمل والبناء، برؤية إسلامية حضارية أصيلة؟!"

وإذ نكتفي بهذا القدر من التمهيد لهذا العدد، فإنَّنا نَعِدُ قراءَنا الأعزاء أن نواصل سعينا في توسيع دائرة الاتصال والمشاركة، وجهدنا في الإتقان والإحسان، ضارعين إلى الله سبحانه السداد والرشاد.

أما هذا العدد فقد جاءت أبحاثه الأربعة في محور واحد هو السنة النبوية الشريفة، ونظرت في موقع السنّة من القرآن الكريم، ودور الاجتهاد في السنة، وعرضت نموذجاً من منهجية تعامل الأقدمين مع السنة، والتطبيقات الممكنة للسنة وتجلياتها في المجتمع المعاصر.

ناقش البحث الأول الأبعاد المقاصدية في مناهج التعامل مع السنة عند المجتهدين والتطبيقات المعاصرة لهذه الأبعاد، بهدف إحياء العملية الاجتهادية، وبيان الأهمية التشريعية للسنة في ضوء مقاصد الشريعة في مراتبها الثلاث: الضروريات والحاجيات والتحسينيات، والمقومات النظرية والتطبيقية لمسالك الكشف عن مقاصد الشريعة، مما يبقي باب الاجتهاد مفتوحاً لتحقيق هذه المقاصد.

وتناول البحث الثاني تأصيل الإمام الشافعي لحجية السنة النبوية وثبوتها. وقد عرف الشافعي رحمه الله بأنه ناصر السنة، ومن أوائل من حاولوا تأسيس منهجية تفوق منهجية الإسناد الذاتية التي تعتمد على الرأي الشخصي للراوي والمرويّ عنه. وحاول البحث توضيح العلاقة بين القرآن الكريم بوصفه المصدر المنشئ والسنة النبوية بوصفها المصدر المبين، فهي علاقة تكاملية بيانية تزيل اللبس حول قضايا عديدة في هذه العلاقة ولا سيّما قضايا النسخ.

وعالج البحث الثالث موضوع المطلق والنسبي في السنة النبوية، وردّ على بعض التيارات الحداثية التي ترى سكونية وتوقفاً للنص النبوي عند زمان معين، وحاول بناء تصور كلي لطبيعة العلاقة مع السنة من حيث صلاحيتها أو محدودية دلالتها في الزمان

والمكان أو الأشخاص أو الحالات أو الوقائع، وتصنيف هذه المجالات ضمن مفهوم المطلق والنسبي واستخدام الأصوليين لهذا المفهوم.

أما البحث الرابع فقد دار حول موضوع العنف ضدّ المرأة واستراتيجيات مواجهته وأساليب تعليم هذه الاستراتيجيات في ضوء السنة النبوية. والبحث محاولة لتطبيق الهدي النبوي وتوجيهات السنة في معالجة واحدة من القضايا الاجتماعية المعاصرة، بهدف الكشف عن استراتيجيات تعزيز العلاقة التكاملية بين الرجل والمرأة، وتربية الأجيال عليها.

وإضافة إلى نشر البحوث والدراسات العلمية، فإنَّ المجلة تواصل في كل عدد من أعدادها التعريف ببعض الكتب، سواءً عن طريق المراجعات والقراءات التفصيلية فيها، أم عن طريق العروض الموجزة المختصرة التي تكتفي بلفت الانتباه إلى عدد من الكتب التي صدرت حديثاً باللغة العربية أو باللغة الإنجليزية، ليستفيد منها المعنيون بموضوعاتها. كما تواصل نشر تقارير أو إعلانات عن بعض الفعاليات العلمية التي تقع ضمن اهتمامات الفكر الإسلامي المعاصر، وجهود الإصلاح المعرفي والمنهجي المعاصرة.

اللهم علّمنا ما لا نعلم، وانْفعنا بما نتعلّم، وزِدْنا علماً، والحمدُ لله ربِّ العالمين.